أ. د. التجاني عبد القادر حامد

رئيس التحرير ورئيس قسم العلوم الاجتماعية؛ مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر

افتتاحية العدد

يسرنا أن نصدر عددًا جديدًا من مجلة (تجسير)، وهي تسير بخطًى ثابتة نحو نهاية المجلد السابع. كما يسرنا أن تتجاوب معنا في هذا العدد طائفة من الأساتذة الباحثين، فتتوفر لنا – من ثم – مجموعة من البحوث النظرية والتجريبية التي تصب جميعها في اتجاه الدراسات البينية؛ سواء من حيث تداخل المناهج وتعددها، أو من حيث تقاطع التخصصات وتفاعلها.

نستهل العدد ببحث معمق في مجال التداخل الحذر بين نصوص القرآن الكريم وبين علوم الطبيعة. إن من يتابع تطورات البحث العلمي لا يصعب عليه أن يلحظ انعطافًا واضحًا نحو الدراسات القرآنية؛ سواء في الجامعات العربية، أو الغربية؛ ولكن الملاحظة الأكثر أهمية أن علماء الطبيعيات التجريبية الحديثة قد صاروا يزاحمون علماء اللسانيات والإنسانيات في الاهتمام بالنص القرآني. وبرز في هذا السياق ما عُرف بالتفسير العلمي للقرآن؛ حيث يهدف أصحابه إلى ردم الفجوة بين علوم الوحي وعلوم الطبيعة.

وحيث تولي مجلة تجسير اهتمامًا خاصًا بالتداخل بين التخصصات العلمية؛ سواء من حيث المنهج، أو المضمون؛ فإنها تفتتح هذا العدد ببحث متميز تناولت فيه الأستاذة شيماء فوخري نموذج التفسير العلمي، مقدمة دراسة تقويمية لنماذج منه، متسائلةً عن الكفاءة المنهجية والجدوى العلمية لهذا النمط من التفسير، وما إذا كان يمثل حركة تبدأ من النص القرآني، ناظرةً إلى العلوم الطبيعية؛ أم تبدأ من العلوم الطبيعية لتنتهي إلى النص القرآني؛ مما يؤدى إلى الإعلاء من شأن العلوم الطبيعية وإعطائها صفة المركزية والمرجعية الحاكمة على النص القرآني، وهو أمر يختلف تمامًا – بتقديرها – عن الوظيفة التفسيرية الأصيلة.

لاحظت الباحثة أن التجسير ما هو إلا أداة منهجية تكتسب هويتها من السياق الظرفي السائد، وأن الفكر الإسلامي قد شهد – بناءً على هذا – أشكالًا مختلفة من "التجسير" عكست احتياجات الأمة، من البرهنة على وجود الخالق إلى الدفاع عن هوية الأمة. وخلصت إلى أن "التجسير" الذي نحن في حاجة إليه اليوم هو تجسير من القرآن إلى العلوم الطبيعية، وهو ما تشير إليه بعبارة: "التجسير بين فقه الوحيين – الذي مصدره القرآن– والعلوم الطبيعية التي مصدرها الكون".

وفى سياق متصل بهذا تناول الباحث إسماعيل نوري موضوعًا يتعلق بما يسميه "المشروع الفكري للاستغراب"؛ أي دراسة الغرب من منظور غير غربي، ذاهبًا إلى القول بأن الاستغراب الذي يعنيه ليس مجرد قلب للصور النمطية الاستشراقية؛ ولكنه إطار معرفي يعنى بكشف الكيفية التي يتصور بها الباحث الغربي قضايا السلطة، والهوية، والاختلاف الثقافي. ثم يتساءل عن الكيفية التي يمكن من خلالها دراسة الغرب ككيان تاريخي واجتماعي وثقافي؟ وهل يمكن أن يدرس وفقًا لمعايير وأشكال التحليل التي وضعها هو نفسه لدراسة المجتمعات غير الغربية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة؛ اعتمد الباحث في دراسته مناهج تاريخ الأفكار والدراسات الثقافية وتحليل الخطاب. وينتهي إلى نتيجة مفادها أنه من خلال هذا المنهج تمكّن باحثون من

مجتمعات غير غربية من دراسة الغرب من خلال عدسات متعددة أثبتت جدواها في نزع الشرعية عن كثير من المفاهيم والمقولات الغربية. وتوصل الباحث إلى أن الاستغراب يسهم في زحزحة المركزية الأوروبية عن موقع الهيمنة على العلوم الإنسانية والاجتماعية لفترة طويلة، كما يسهم في إزالة الافتراض السائد بأن المفاهيم الراسخة في التخصصات الأكاديمية الغربية - مثل العقلانية والديموقراطية والحداثة والعلمانية - هي مفاهيم عالمية بطبيعتها، مع ما في ذلك من إخفاء للظروف الخاصة التي أدت إلى ظهورها.

وإذا كان الموضوع السابق يتعرض لدراسة الغرب من الخارج، ويتعرض للمراجعات التي يجريها باحثون غير غربيين؛ فإن البحث الثالث الذي يليه (بقلم الأستاذ أحمد علي سالم) يسعى لدراسة الغرب من الداخل، متناولًا المراجعات التي يجريها الباحثون الغربيون أنفسهم، وما وقع في مسيرتهم العلمية من خلافات وانشقاقات مذهبية ومنهجية، والنظر في إمكانية التجسير بينها. تهدف دراسة الأستاذ أحمد إلى تحليل الانشقاقات والمراجعات الكبرى في المدارس النظرية في حقل العلاقات الدولية خلال قرن من الزمان. يسلط الباحث الضوء على المدرستين الواقعية والبنائية الاجتماعية، ويخلص إلى أن عملية تجسير الانشقاقات والتقريب بين هذه المدارس إضافة ضرورية لحل معضلاتها، مع الحفاظ على تمايز الأسس الفلسفية لكل مدرسة، وأن هذه الرؤية التجسيرية تخالف كلا من دعاة النقاء النظري الذين ينفون إمكانية التقارب بين المدارس، ودعاة المحافظة على التعدد الذين يرفضون محاولات الدمج بين تلك المدارس.

وفي بحث بعنوان "علم الأعصاب وعلم الاجتماع: التكامل ضد الاختزالية" يتناول الباحث علي جعفري إمكانية التجسير بين هذين المجالين متابعًا السيرورة المفاهيمية التي قويت حتى تولدت عنها (1972) نظرية علم الأعصاب الاجتماعي، وضعفت أحيانًا أخرى حينما هرع علماء الاجتماع للدفاع بقوة عن تخصصهم. ولم تستعد عملية التجسير قوتها إلا مطلع التسعينيات، مع ظهور ما يسمى "العلوم العصبية الاجتماعية" نتيجة للاهتمام الأمريكي والأوروبي بهذا الجانب من العلوم، وتوفير الإمكانات المالية والبشرية للباحثين فيه. ويشير الأستاذ جعفري في خاتمة بحثه إلى أهم الانتقادات التي توجه إلى علم الأعصاب؛ مثل فك الارتباط بين الفرد والمجتمع والنظر إلى الفرد ككيان دماغي لا غير، والعمل على تطبيق التجارب المختبرية على المجتمع، واحتمال استعمال علم الأعصاب الاجتماعي للسيطرة والتلاعب بالأفراد والمجتمعات.

وفي مسعى لاستصحاب نظرية علم الأعصاب الاجتماعي وتقاربه من التوظيف الثقافي، يتضمن هذا العدد بحثين في مجال استثمار التراث الثقافي وإعادة إنتاجه، ثم توظيفه بصورة من الصور ليلبى حاجة في المجتمع، أو غرضًا من أغراض الدولة. في البحث الأول يقدم الأستاذ عدي البشير بحثًا عن السياسات الرمزية في الفعل العمومي. يعرف السياسات العمومية بأنها تختص بتعبئة مجموعة من الرموز بهدف التأثير في عواطف وتمثلات وسلوكيات المواطنين، وذلك من خلال التأكيد على سلطة وقوة الدولة. وعادة ما تبرز الرمزية في أسماء الشوارع والساحات العمومية والمداس ومختلف المرافق العمومية، وهي أسماء تعبر بصورة من الصور عن أيديولوجية الدولة ومرجعيتها الثقافية؛ أما البحث الثاني فقد جاء بعنوان: "الغوص ثقافة لا تزال تتنفس: إعادة إنتاج التراث الثقافي القطري عبر عمران الدوحة"، تناول الأستاذ مثنى

المصري فيه الكيفيات التي تتجلى من خلالها الحمولات والدلالات التراثية والتاريخية المختلفة لمجتمع الغوص على اللؤلؤ في عمران مدينة الدوحة. يؤكد الباحث في خاتمة بحثه على أن العمران في مدينة الدوحة لا يمثل مجرد بنية مادية؛ بل يمثل نصًا ثقافيًا تعاد من خلاله صياغة العلاقة بين التاريخ والهوية والسياسات الوطنية، في محاولة دائمة لإنتاج مدينة تحمل خصوصية قطرية منفتحة على العالم دون انفصال عن جذورها. كما يؤكد أن المعمار في قطر يتخذ وظيفة رمزية وثقافية واضحة، وأن الدولة تستخدمه كرمز تراثي يعاد استحضاره في سياقات متعددة تشمل الاقتصاد والثقافة والسياسات الوطنية.

وإلى جانب هذه البحوث ذات الطابع النظري، يتضمن العدد دراسة تطبيقية حول جائحة كورونا وأثرها على تفكير وممارسات الشباب المغربي، قدمها الأستاذ عبد الخالق سداتي، كشف فيها عن حدود تأثير أزمة كورونا على عينة من شباب المغرب ينتمون إلى ثلاث جهات مختلفة. وبعد تحديد للإطار النظري للدراسة وإشكاليتها، قام الباحث بتوصيف مجتمع البحث والمعطيات والنتائج التي توصل إليها؛ مستخدمًا العديد من الجداول والرسومات البيانية، وانتهى إلى التأكيد على إن المعركة ضد الوباء تحتاج إلى تعبئة مجتمعية وعلمية شاملة، يلتقي فيها علماء الاجتماع والنفس والإعلام والتربية الصحية والاقتصاد وصناع القرار في المجتمع.

ويشتمل العدد – كالمعتاد – على باب خاص بمراجعات الكتب، يضم مراجعةً لكتاب حول المعلومات المضللة وسبل بناء مناعة ضدها، وآخر لكتاب في السوسيولوجيا القانونية. هذا بالإضافة إلى تقرير عن مؤتمر القرآن والمعرفة الإنسانية السنوي الذي ينظمه مركز ابن خلدون، وهو مؤتمر يراعي المقاربة البينية في طرح المشاركين فيه. ولا يفوتنا في الختام أن نشكر الأساتذة الباحثين الذين أسهموا في إنتاج هذه المادة العلمية القيمة، والسادة المحكمين الخارجيين الذين كان لتوجيهم الأثر الأكبر في إتقان عملنا. والشكر أخيرًا للفريق العامل في دار نشر جامعة قطر؛ الذين لولا جهودهم ومتابعتهم المستمرة لما خرج هذا العدد في هذه الصورة المحكمة.

أما أخيرًا، فيجدر بي – على مستوًى شخصي – أن أشير إلى أنه بصدور هذا العدد من (تجسير)؛ ستنتهي فترة رئاستي للتحرير، شاكرًا للقراء وللباحثين؛ وأما المجلة فإنها ستستمر، بالطبع، وستصبح أكثر نضجًا، وأوسع انتشارًا تحت قيادة رئيس التحرير الجديد الذي أتمنى له كل التوفيق.

للاقتباس: حامد، التجاني عبد القادر. "افتتاحية العدد"،**مجلة تجسير لدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية البينية، المجلد السابع، العدد 2 (2025)**، ص5-7. https://doi.org/10.29117/tis.2025.0223

© 2025، حامد، الجهة المرخص لها: مجلة تجسير، دار نشر جامعة قطر. نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف. https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0